-فلسفة اللغة في المنهج التفكيكي بين الالتزام والتسامح-

"رؤية في أنثروبولوجيا النقد الادبي والفلسفة المعاصرة"

"جاك دريدا أنموذجا""

د. بن ديدة مختار
جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس

... ان الانتاج الفلسفي الضخم الذي تركه ورائه رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة الذي عبر فيه عن نقده الادبي اولا وعن أصوله الفلسفية ثانيا، ثم عن مواقفه السياسية ثالثا . وهذا كله يمثل بعده الانثروبولوجي خاصة في بداية التفكيكية / التقويضية التي إنطلقت من كتاباته ومحاضراته التي دشّنت حركة ما بعد البنيوية من خلال كتبه الثلاث التي أصدرها عام 1967 ، ونظريته إذا جاز لنا أن نسميها نظرية ([1])

لم لا وهو رائد المدرسة التفكيكية في النقد مع العلم انه يهودي الديانة فرنسي الجنسية ومن اصل جزائري، اشتهر في السنوات العشر الاخيرة شهرة عالمية بعد ان كان له وزنه العلمي في الاوساط العلمية والفلسفية الاوربية. وتعتبر مدرسته واحدة من اهم المدارس عند بعض النقاد والباحثين. ففيما تتمثل اصوله الفلسفية..؟

اردنا ان نقول في هذه الورقة: وبمنضور الانثروبولوجيا الفلسفية المعاصرة رغم انه فيلسوف الصداقة والتسامح والمصالحة ...غير انه يظهر احيانا جد متمسكا لفلسفته اتجاه غيره باعتباره ملتزما للتأويل اللااحادي من جهة، ولاستخدامه في هذه العملية (=التأويل) منهج التفكيك الضروري والاضطراري من جهة أخرى؛ ذالك هو الأصل الانثروبولوجي الأول في فلسفته. اما الاصل الثاني الذي يمكن اعتباره نتيجة محتملة وليست ضرورية : يتمثل في دوغمائية التمسك بالأصول الثقافية التي صنعت طريقة تفكيره

المرتكزة اساسا على التأويل عن طريق التفكيك([2]) والبحث في ما يجب ان يكون لا في ما هو كائن... حيث يبدو وكأنه فيلسوف من نوع خاص، فهو يبدو وكانه مراوغ في لغته ولكن تحكمه الدقة المتناهية في فهم المصطلحات والوعي بالمفاهيم..([3])،

فالموضوعات التي عالجها دريدا مثل: النص – الكتابة – الاختلاف، تهدف الى الاكسيوماتيك المنفتح بالمفهوم الإبستيمولوجي أي القابل للتغيرات الطارئة والكتابات الجديدة والقراءات المتجددة (التي تفتح أفق الفهم: وتحرر الفكر الجامد القائم على الاحكام المسبقة والتقيمية والتأويل الخاطئ للمقدس والنصوص الدينية) وباعتبارها ناتجة عن فكرة الهدم الهيدجيري ومفهوم التفرقة الفرويدي خاصة في هذه البدايات الاولى لكتاباته التي اسست لمنهجه الفلسفي المعتمد على منهجه وأسلوبه الذي يهيم به المسمى بالتفكيك الذي يشبه الى حد كبير البعثرة ومحاولة اعادة التركيب من جديد([4]). ويرى العديد من دارسيه انه اثبث وجوده عندما جمع الادب والفلسفة والسياسة، كثلاثة اقطاب حيث لا تنفصل عنده إلا بالوهم([5])، وكذا لثقافته التي شكلت تكوينه انثروبو–فلسفي بالمفهوم المعاصر لفلسفتة الانتقالية من "فلسفة انسان ألعلم الى علم الانسان الفلسفي... " de la philosophie de l'homme de science a l'anthropologie philosophique

ولذالك كان تساؤلنا في البداية عن امكانية التمييز بين جاك دريدا الفيلسوف الممنهج الذي وقف في وجه البنيويين للتعبير عن عصر جديد، عصر ما بعد الحداثة، في حين كان بنيويا في حياته ونسقيا في ثقافته؛ خاصة عندما جمع بين مباحث: الادب والفلسفة والسياسية ووضع قانون الإستضافة والالتزام بالسياسة وفكرة التسامح الفعلي، وكما أكد بعض النقاد الذين

يعتقدون أن التفكيك الذي جاء به دريدا يعد شكلا من اشكال الانتقال من فلسفة التمركز العقلي إلى التمركز اللغوي([6])...

أما المفارقة الثانية فهي تتمثل في كيفية تأثير سلوكه الانساني في طريقة تفكيره (الالتزام، التسامح) والعكس كذالك المتمثل في تأثير نظريته في المعرفة على حياته كانسان..؟ وهذا الجدل المنطقي جعله ينتقل من فيلسوف التسامح الى فيلسوف ألتمسك([7]) ويتحول من إلتزام السلوك السياسي الى إلتزام المنهج التفكيكي([8])، ومن ثقافة الاختلاف الطبيعي الى عقلية الائتلاف الثقافي، حيث سقط في عقلانية اللغوس والتمركز نحو الذات التي تميزت بها الفلسفات السابقة بمعنى حضور ثقافة النقد الادبي في التنظير الفلسفي، وحضور اللاشعور السياسي في التفسير الانثروبولوجي لفعل التسامح ومعنى الضيافة، والائتلاف في طبيعة الكلام وعلم الكتابة... ([9]) وبالتالي *فهل يمكن القول انه اراد من فلسفته ان يعبر عن موقفه باعتباره مرتبطا دائما بتاريخه وتراكماته الثقافية، فانتقل الى التزامه السياسي ومواقفه الشجاعة التي حولت فلسفته وشكلت كتاباته ونصوصه على* الشكل المونولوجي *الذي لم يستطع فيه ان يتخلص من الطابع الاسطوري..([10])؟*

الكلمات المفتاحية : أنثروبو– فلسفي ، التفكيك الاضطراري، دوغمائية التمسك، الأكسيوماتيك المنفتح ، انسان ألعلم ، التزام سلوكي ، قارئ نموذجي، كاتب مونولوجي ، التأويل اللانهائي ، الوعظ بالتسامح ، البناء فكري الكامل، ثقافة الائتلاف، طبيعة الاختلاف، التمركز نحو الكتابة ، كرنفال الهدم وإعادة البناء

من البنية الى التفكيك :

لنتامل هذا الفاصل الفلسفيلـ جاك دريدا: "اذا كان التفكيك مدمر حقا.. فليدمر ما شاء من الابنية القديمة المشوهة من اجل ان نعيد البناء من جديد.. " فلا يحس بقيمة التفكيك الا المبدعون في اعادة البناء([11])

لقد انشأت التفكيكية على انقاض البنيوية وهي تمثل جانبا مخيفا من جوانب فوضى النقد المعاصر في اوائل التسعينات من القرن الماضي فهي بهدا المعنى امتداد للبنيوية من جهة؛ وهدم لها في الوقت ذاته من جهة اخرى، حيث شبهت من طرف بعض المعارضين لها بانها كرنفال تخضع الحياة لقوانينها فقط ولا حياة خارج هذا الكرنفال، أي خارج هذه القوانين، وراح آخرون يفسرونها بالبحث في اللامعقول بينما اعطاها بعض المفكرين صورة العمى، وحتى دريدا يصفها بالجنون، وهي بهذا المعنى توحي لنا بفكرة اعادة تاسيس اللوغوس بشكل غير منطقي، ولعل هذه الشمعة التي تهدف الى انتشار النور في الغرفة المظلمة الواسعة إلا على نفسها او على ما حولها من قريب، ان صح التعبير، ان لم نقل انها زرعت الظلام اكثر من زرعها للنور بحيث دفعت المناصرين لها بالسير في الظلام وذالك باشارتها الخضراء،... و لعل قراءة سريعة في فكر جاك دريدا ستضيء الطريق امام القارئ للغوص في معالم هدا المنهج الغامض وفك رموز هذه الاشارة، المتمثلة في المدرسة الما بعد حداثية، فدريدا يمثل حالة ثقافية شربت الفلسفة الغربية من افلاطون حتى هيجل...غير أن حقيقة الامر ترجع الى ذالك الراي المناهض للعقلانية الميثالية و القيم النفعية الاخلاقية بل ان فيلسوفنا جاك دريدا جازف وتجاوز الحدود عند محاولة تقويض العقل الغربي نفسه في آلياته الاساسية , فالتفكيك كما يراه دريدا نقد لاديولوجيا التمركز الغربي حول الذات و من هنا فقد اعتبر دريدا الثقافة الغربية متمركزة حول العقل و الصوت والذات المطمئنة لذاتها ولقد شبه المفكك بما يحكيه مجنون مستعمل للغة متمردة يؤسسها ليقوض عالم اخر بكل عماراته التي تأسست على مركزية «العقل» في كافة ميادين الكتابة([12]). وهذا ما دفع بجاك دريدا لأن يكتب من عمق جنونه، هوية لا تشبه الثوابت، وكتابة لا تشبه العهود. لقد نعت جاك دريدا منذ سنوات خلت بشتى التهم الخطيرة التي تجعله على هامش الاخلاق ويسعده ذلك جدا لأنه يفهم

بأن منهجه هو الوحيد الذي يفكك ولكن مناهج غيره لا يمكنها ان تفككه هو ذاته! وبالتالي فان ظهور التفكيكية مرتبط بظروف سياسية واجتماعية و اقتصادية مرت بها الحياة الغربية في هده الحقبة التاريخية والتي شكلت المحيط "الجيو–ثقافي" لهذه الفلسفة: فلسفة الانا المتعالي، وهيمنة فلسفة العقل الأدائي والقائمة على ثقافة التمركز والمطلق،([13]) والتي ستحاول ازالتها الفلسفة التفكيكية وتستبدلها بمفاهيم النسبية والتشتيت وعدم اليقين المتمثل في نقد التوابث والمراوغة في اللغة والدقة المتناهية في فهم المصطلحات والوعي الكامل بالمفاهيم والبعثرة ومحاولة اعادة التركيب من جديد فهو يبدو وكأنه فيلسوف من نوع خاص،

وخلاصة الرؤية لهذه الخصوصية الفلسفية التي ولدت النظرية التفكيكية يتمثل في ان هذه النظرية تقوم على فلسفة التشكيك في العلاقة بين الدال والمدلول، اين نجد العقل يستطيع بشكل ما التخلص من اللغة. كما انه يوحي بغياب المركز الثابت للنص بمعنى انه اسس لنصوصا فلسفية غامضة تتعدى التصنيف، والنقد فيها يقوم على الشك الفلسفي القائم بدوره على رفض الثوابت والتقاليد

من القارئ النموذجي الى الكاتب المونولوجي:

ان النقد التفكيكي هو عبارة عن مقاربة فلسفية للنصوص اكثر منه مقاربة ادبية لها او يمكن اعتباره منهجا فلسفيا في القراءة الادبية او اتجاها من اتجاهات التلقي , و يعطي اهمية للقارئ اما نظرية التفكيك هي محاولة اعطاء تاويلات مختلفة لنصوص شبه مجهولة([14]) وخاصة من خلال هذا القارئ الذي يتمتع بقدرات عالية وهو ما نسميه بالقارئ النمودجي، لان هدا القارئ الناقد القائم على الشك الفلسفي([15]) والقائم على رفض البديهيات والافكار المطلقة والتفكيك بهذا المعنى هو تفكيك لكل خطاب جاهز ومكتمل حيث يتزعزع ويتخلخل النص وتنكشف جذوره ويصبح المعنى ليس معطى جاهزا اي انه غير حاضر في الاشارة اللغوية اذا اعتبرنا ان الفلسفة هي الوعاء المناسب للعقل

والمنطق... وتفكيكية فيلسوفنا تعمل على تقويض وتفكيك الفكرة السائدة حول الميتافزيقا وخاصة ميتافيزيقا الذات وهذا يظهر جليا في نصوص جاك دريدا عند ما يتكلم عن مفاهيم مثل (الكلام والكتابة. الحضور والغياب...الخ من المفاهيم المتقابلة..) ويحاكم جاك دريدا هده المفاضلة بين المتكلم والكاتب من جهة. والتفكيكية من جهة اخرى مليئة بالمصطلحات الفلسفية الغامضة كمفهومي الارجاء والانتشار؛ الاول ينشا عن اختلاف الدوال والتداخل بينها اما الثاني يدل على ان المعنى بسبب غياب مركزية النص والعلاقة اليقينية بين الدال والمدلول يبقى مؤجلا و مرجا ومتناثرا و منتشرا ...

– اهمية الكتابة: اكدت التفكيكية على لسان دريدا اهمية الكتابة وجعلتها اهم من الصوت وهي البديل عن الكلام لان هدا الكلام يحتكر سلطة الخطاب واعطاء هده السلطة للمتكلم .

اما الكتابة فهي تمنح النص تأويلات متعددة و تغيب المتكلم و تعطي المكانة للقارئ، هذا القارئ الحاضر الذي يعتبر هو المغيب للمعنى او لمدلول اشارة اللغة... ويصبح كل دال غير موجود بشكل كامل في أي لحظة، فهو دائما غائب رغم حضوره وهكذا فان الاختلاف عكس الحضور وهذا ما يعطي للكتابة صيرورة البقاء بغياب المنتج الاول في حين يتعذر ذالك بالنسبة للكلام والنتيجة تنطوي على ان التراث الاوروبي في ضوء المنطلقات التفكيكية يمتاز بالانفتاح على التأويل اللانهائي...، وهنا نقترب من مفهوم التمركز حول العقل، والذي يعني أن اللغة تمثل بنية من الإحالات اللانهائية التي يشير فيها كل نص إلى النصوص الأخرى بمعنى التناص، وكل علامة إلى العلامات الأخرى

فكرة الحضور والغياب:

تناول جاك دريدا اراء اللساني دي سوسير في اللغة واعتبر الحضور الذاتي و التمركز الصوتي هما مكونات الميتافزيقا الغربية التي تعمل على تأكيد طبيعة

الاولوية للكلام وأكد ان الدال في اللغة هو الذي يمثل الحضور بينما يمثل المدلول حالة الغياب ويكون دور القارئ هو استدعاء هدا الغائب المتشكل في التصور الذهني . وادا كانت التفكيكية تشكك في العلاقة بين الدال و المدلول فان المعنى سيصبح في حالة غياب دائمة ولا تستطيع اية قراءة ان تزعم انها سيطرت على المعنى او بلغت مركزية المعنى ...

وفي مقابل النقاد يرى جاك دريدا ان لا حدود فاصلة بين لغة الادب و كلام اللغة وان تشكيلات الكلام بأنواعها هي التي تنتج انواعا مختلفة من التناقض الظاهري ... /... يتبع انشاء الله

الاحالات

---

[1]– لقد انكر جاك دريدا ان تكون كلمة تفكيك مرادفة لمصطلح مابعد الحداثة باعتبار ان هذا الاخير هو فكر تقويضي معاد للفكر العقلاني وللكليات سواء كانت دينية ام مادية فهو يحاول ان يهرب من الميتافيزيقا والحقيقة والثبات ويضل غارقا في الصيرورة ، فهو تعبير متبلور عن المادية الجديدة السائلة، شانه في هذا شان التفكيكية...وللمزيد من التفاصيل ارجع الى: *الدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور فتحي التركي (مؤلف مشترك)* الحداثة وما مبعد ألحداثة –دار ألوعي–الجزائر ط، الثانية سنة **2012**. ص: **111** وما بعدها...

[2]– المرجع نفسه ص: **113**

[3]– د *سيّار الجميل* ديريدا رائد الفلسفة التفكيكية المعاصرة ـــنشر هذا المقال في الموقع لمناسبة رحيل فيلسوف النقد الادبي جاك دريدا وارجع كذالك الى "الدكتور مراد قواسمي" دريدا قلق السيرة الذاتية مجلة اللغوس العدد التجريبي سنة **2011** ص: **177**

[4]–بالنسبة لدريدا فانه ليست ثمة فكرة لا يمكن اعادة التفكير فيها ، وليس من قول لا يمكن ان يقال من جديد. حتى التفكيك نفسه يجب ان يفكك. وللمزيد من التفاصيل ارجع الى: *"ريتشارد كيرني"* في كتابه ـــجدل العقل– حوار آخر القرن ، ت: *الياس فركوح وحنان شرايخة*. المركز الثقافي العربي . دار البيضاء المغرب ط، **1**سنة **2005** ص: **... 163 162 161**

[5]– **6** ستار الجميل مرجع سبق ذكره.ص: **3** و**2**–

[7]– **8** لقد تمسك جاك دريدا الفيلسوف الملتزم بالتسامح باصوله الانثروبولوجية ، كما تمسك بمنهجه التفكيكي واصبحت علاقة التاثير والتاثر جدلية بين نهجه في الحياة الذي طبقه في التزامه السياسي والاخلاقي ومنهجه الفلسفي الذي حاول تطبيقه في النقد الادبي وفلسفة اللغة...

[9]–علينا ان نفرق بين ما هو طبيعي المتمثل في الاختلاف ، و ما هو ثقافي يظهر في الاتفاق والائتلاف وللمزيد من التفاصيل ارجع ال ى:*علي حرب"في كتابه* نقد الحقيقة –المركز الثقافي العربي ، بيروت –ط1 سنة 1993

[10]–يعني دريدا يفكر ويتكلم مع نفسه فقط ، لأنه في مرحلة مونولوج حيث لا تتم البرهنة على اي شيئ لانه لا تتم مناقشة اي شيئ اذ يغيب الرأي المضاد والمختلف في هذه المرحلة (كوجيف) اي مرحلة التقويض التشتيت والانتشار والتبعثر ارجع الى: *أكسيل هونيث* في كتابه التشيؤ– ت ت كمال بونير الجزائر ط 1:.سنة 2013..في فصل الاعتراف ص: 61 وما قبلها. وكذالك الى : مراد قواسمي.مرجع سبق ذكره...

[11]– جاك دريدا –الكتابة والاختلاف–ترجمة : كاظم جهاد ، توبقال . ط الاولى المغرب 1988 وعتبر اهم مصدر في هذا البحث...

[12]–ينظر.فطوس (بسام) : المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطبع ، الإسكندرية ، 2006

[13]– كمال بومنير قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانك فورت–الجزائر ، ط1 السنة 2012 ص:33/36 وللمزيد من التفاصيل راجع كذالك"*كارل أوتو آبل"* في كتابه التفكير مع هابرماز ضد هابرماز ت ت عمر مهيبل منشورات الاختلاف ط 1 سنة 2005 ص: 43 وما بعدها...

[14]–المرجع نفسه

[15]– غراندل (جان): المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ، تر: د.عمار مهيبل ، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، 2007

العلوم العقلية عند ابن خلدون

الدكتور بن بوهة أحمد
قســـم العلوم الاجتماعية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية –
جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس

يُعَدّ عبد الرحمان ابن خلدون أحد المفكرين العرب والمسلمين الذين وقفوا موقفا موضوعيا أمام أهمية العلوم العقلية ومنها المنطق ، ولهذا الاعتبار كان موضوع بحثنا حول المنطق والعلوم العقلية في المشروع الخلدوني، قاصدين من وراء هذا التنقيب كشفَ الرؤية الخلدونية في هذا المُلتَبس من هذه العلوم ، ثمّ دوره في الحياة الفكرية والاجتماعية عند العرب والمسلمين ولذلك ضمنّا خطوات تحليلنا فحْص المباحث الآتية :

– موقع المنطق والعلوم العقلية عنده ، خاصة في مؤلَّفه " المقدمة" : والغرض منه كشف مواطن التفكير المنطقي في ثنايا أعمال ابن خلدون الاجتماعية والتاريخية.

– البحث في قيمة وأهمية علم المنطق والعلوم العقلية : إذْ تجدر الإشارة إلى التصنيفات التي وضَعها ابن خلدون لهذه العلوم.

– ثم أخيرا: عرْضٌ نماذج لتوظيفات خلدونية لهذه العلوم : وفي هذا نحن مضطرون لعرْض أمثلة–ولو على الإيجاز– لبعض المفاهيم المنطقية المطبّقة في" المقدمة".

بناء على هذا الرسم الموجز ، نرى أن موضوع بحثنا سيحاول الإجابة على التساؤلات التالية :

ما المقصود بالعلوم العقلية وبالمنطق في المشروع الخلدوني ؟ ثم كيْف كان موقف ابن خلدون من هذه العلوم ؟ وأخيرا ما هي المنهجية التي وظّفها في أعماله المعرفية خاصة في علم العمران ؟

لقد اعتمد ابن خلدون في كتابة "مقدمته" على منهجية تجريبية (تكمن في المُعاينة المباشرة للحوادث الاجتماعية والعمرانية والسياسية) ومنهجية أخرى استنتاجية (تقوم على القياس والمقارنة النظرية) ، وهي منهجية تعتمد على ملاحظة الحقائق التاريخية والاجتماعية في الشعوب التي عاش بينها ومقارنتها مع الماضية وحقائق شعوب أخرى ودراسة وتحليل العلاقات والقوانين والعادات بين الشعوب وعوامل تطورها واختلافها[1].

يعتمد منهج ابن خلدون على الأحكام التقريرية الموضوعية ،" فلا يتحدث عمّا يجب أن يكون كما فعَل أفلاطون، ولا يتحدث عن منهجية تتّبع الخير والشرّ في ظواهر الاجتماع ، فتستحسن شيئا وتدعو إليه ، وتستهجن شيئا وتدعو إلى اجتنابه ، مثل ما فعَل ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق والغزالي في إحياء علوم الدين والماوردي في كتابه الأحكام السلطانية "[2].

احتوت "مقدمة " ابن خلدون ستين(60) فصْلاً ، بيّنت محتوياتُها فضْلَ علم التاريخ وطبيعة العمران وطبيعة تطوّر الإنسان من البدْو والحضَر وأَشكال الصراع والتغلُّب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم. لقد خصصّ ابن خلدون فُصُولًا كثيرة لمختلف العلوم الدينية والطبيعية والإلهية والعلوم العقلية ، وهذه الأخيرة أصنافها أربعة وهي : علم المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي (الذي يدرس الجانب الروحاني) والعلم الرابع هو علم المقادير ويضم الهندسة والحساب (أرثماطيقا) و الموسيقى وعلم الهيئة (مواقع الأفلاك وحركتها)[3].